

حوار حول الدين والتراث

● ماهور أي الرفيق القائد المؤسس بما يجري من تسعير لحملة العداة والحقد العنصري على العروبة؟ وضد العراق؟ وماهي حقيقة نظرة الحزب منذ التأسيس للدين؟^(١)

هناك صلة قوية. ان فترة التأسيس فيها ما يتصل بالظرف الحاضر والازمة الراهنة التي نواجهها، وفي شعوري ان فترة التأسيس تحوي كل شيء. انها ثرة وغنية، وقد لا تكون عبرت عن نفسها التعبير الكافي، لكن اكثر الافكار التي جاء بها الحزب على امتداد مسيرته الطويلة، كانت متضمنة في الفكرة الاساسية. ما أود الاشارة اليه هنا هو التالي: حركة البعث ولدت من نظرة فكرية لنسماها فكرية حتى لانقول فلسفية على اساس ان «فلسفية» كلمة ضخمة - أقول من نظرة فكرية ممتزجة بمعاناة وجدانية أرادت ان تجمع شيئين اساسيين هما: الايمان والعقلانية.

التجربة الروحية في حياة العرب، أي الاسلام، وروح العصر هذان هما الايمان والعقلانية، ووراء هذه الارادة قناعة باننا لانجمع نقبضين، ولا حتى شيئين مختلفين وانما شيئاً واحداً ياخذ مظهرين حسب اختلاف الزمان.

● ونظرة الحزب الى الاسلام، كيف كانت منذ البداية؟

نظرة الحزب الى الاسلام هي هذه: انه حي في هذا العصر اكثر من أي شيء آخر، عصري، ومستقبلي ايضاً، لانه خالد يعبر عن حقائق أساسية خالدة، لكن

(١) حوار اجرته جريدة الجمهورية، ونشر على صفحاتها في ٢٧ / ٤ / ١٩٨٠.

المهم هو الاتصال بهذه الحقائق لكي تؤثر وتكون فاعلة ومبدعة. فكان رأي الحزب نتيجة التفكير ونتيجة المعاناة معا. ان هذا الاتصال لا يكون بالنقل الحرفي، ولا بالتقليد وانما بان تكتشف هذه الحقائق من جديد، من خلال ثقافة العصر ومن خلال الثورة والنضال.

● كيف إذن تعامل البعث، منذ فترة التأسيس مع هذه الحقائق ليصل الى

الثورة؟

الحزب وضع مبادئ عقلانية علمية للثورة العربية، أستنبطها من ثقافة العصر، ومن واقع الامة العربية، واقع جماهيرها الواسعة، جماهيرها الكادحة، ورسم لهذه الجماهير طريقا للنضال من اجل بلوغ اهدافها وفي الوقت نفسه وضع هذا النضال في جو الرسالة العربية وقيمها الروحية والاخلاقية اي انه، وضع ثورة الجماهير العربية في أفق حضاري متصل بماضي الامة وتراثها الخالد من اجل تجديد هذه الرسالة في المستقبل.

● اذن الحزب لم يكن مع الالحداد؟

ابداً. . هذه كتاباتنا، على قلتها، ومنذ «ذكرى الرسول العربي» عام ١٩٤٣ وقبل ذلك أقول في ذكرى الرسول العربي - واعتقد في الصفحة الثانية - «يجب ان تتحد الصلاة مع العقل النير مع الساعد المفتول، لتؤدي كلها الى العمل العفوي الطلق الغني القوى المحكم الصائب»، فهذه قناعاتي الفكرية العميقة، بان الفكر النير وحده لا يكفي بل لا بد ان يتحد مع الصلاة ومع الساعد المفتول (تعبير عن الشجاعة، عن حيوية الانسان وارادته). قبل ذلك، ماذا أقول في ذكرى الرسول العربي. . قلت «نحن امام حقيقة راهنة هي الانقطاع بل التناقض بين ماضينا المجيد وحاضرنا المعيب. كانت الشخصية العربية كلاً موحداً، لافرق بين روحها وفكرها، بين عملها وقولها، بين أخلاقها الخاصة وأخلاقها العامة، وكانت الحياة العربية تامة، ريانة، مترعة يتضافر فيها الفكر والروح والعمل وكل الغرائز القوية، اما نحن، فلا نعرف غير الشخصية المنقسمة المجزأة، ولا نعرف الا حياة فقيرة جزئية، اذا أهلها العقل فان الروح تجفوها، وان داخلتها العاطفة فالفكر ينبوعها: اما فكرية

جدية، او عملية هوجاء، فهي ابدأ محرومة من بعض القوى الجوهرية، وقد آن لنا ان نزيل هذا التناقض فنعيد للشخصية العربية وحدتها، وللحياة العربية تمامها. »
هذه الامور القليلة. . كتاباتي، وهي كل قناعاتي أمامكم، كل ما كتب على امتداد أربعين سنة، اذا أستطاع أحد ان يجد عبارة واحدة تشذ عن هذه الروح في كل ماكتب - عبارة من منبع فكري آخر - تناقض او تختلف. . فليقل ذلك صراحة، انها روح واحدة عبرت عن نفسها في مناسبات مختلفة. قناعات فكرية لم تختلف، لكن الظروف السياسية وظروف المجتمع، صعوبة العمل الثوري في مجتمعنا، هذه الامور اخرجت ظهور هذه الافكار واعطاءها الاهتمام المطلوب.
والآن نشعر بان في تجربة حزبنا في العراق للمرة الاولى تأخذ افكار الحزب مداها.

● والتآمر الذي تتعرض له التجربة في القطر العراقي؟

يهمني ان أوضح حقيقة الحزب. . حقيقة الثورة العربية. الثورة العربية ستكون بحجم الامة العربية التاريخي والحضاري لذلك هي لا ترضى الا ان تكون نهضتها عربية اصيلة، ذات إشعاع عالمي ولو اقتضى ذلك ان تمر بتجارب وصعوبات في منتهى الشدة، بل ان هذه الصعوبات مطلوبة حتى تبلغ الثورة العربية او النهضة العربية عمقها المطلوب وأصالتها. ولذلك فهي تتخذ من كل أزمة ومن كل صعوبة مناسبة للتعريف بنفسها لمزيد من التوضيح ولمزيد من التعمق ولمزيد من النضج.
لقد عرف أعداء الامة العربية منذ زمن بعيد هذا الوزن الكبير الذي يمكن ان يؤثر في المسار الانساني، فجعلوا عداؤهم على مستوى هذا الوزن، على مستوى عظمة الامة العربية وغنى إمكاناتها لكي يخنقوا نهضتها او على الاقل يضعفوها، او يؤجلوا تحقيقها، وكانت الاسلحة التي استخدموها متنوعة، وليس اضعفها سلاح الافتراء، والتزوير والتشكيك والتشويه، وكان الحزب منذ بداياته الاولى مضطراً لان يرد على الافتراءات والاباطيل الكثيرة، ولولا روح الايمان والصدق في أصل بناء هذا الحزب، هذه الروح التي سرت فيه في تاريخه، وفي مسيرته، لكان نجح الاعداء الخارجيون والداخليون في خلق الهوة او الحاجز بين الحزب وبين جماهير الامة.

ولكن استمرار الحزب حتى الان وما تعبر عنه تجربته من حيوية وأبداع وتآلق كل هذا يقيم الدليل على فشل كل هذه المحاولات وعلى ان البعث كان وسيبقى ضمير الامة العربية.

الامبريالية عدوة الشعوب . . عدوة شعوب العالم الثالث متأمرة على حرية هذه الشعوب وعلى تقدمها، بقصد أستغلالها ونهب ثرواتها، ولكن هناك حقيقة دلت عليها التاريخ في الماضي وتقوم عليها عدة أدلة في الحاضر وهي ان ما يخشاه الاستعمار وما تخشاه الامبريالية بالدرجة الاولى هو نهضة الامة العربية ووحدتها، والامبريالية مستعدة ان تتساهل في أمور كثيرة ومع جهات كثيرة معادية لها، شريطة ان تستدرج هذه القوى الى مواقع التناقض مع الثورة العربية لضعاف هذه الثورة، وخلق الانقسامات في داخلها.

الاستعمار خلق الكيان الصهيوني في قلب الوطن العربي ليعطل وحدة هذا الوطن ونهضة شعبه، العداة الاكبر هو دائما موجه للامة العربية ولثورتها.

● يدعون في ايران انهم يريدون تحرير فلسطين والقدس، وهم يحتلون جزراً عربية ويعتدون على العراق، ويحاربون العروبة، كيف اذن يدعون انهم سيقاثلون لتحرير فلسطين؟

تحرير فلسطين لا يكون الا على يد الجماهير العربية أبناء الامة العربية، بالدرجة الاولى، يساعدهم وتلتف حولهم كل الشعوب التي شملتها الرسالة العربية الاسلامية، وأوجدت بينها وبين الامة العربية أواصر روحية لا تبلى ولكن من غير المنطقي ان يساهم أحد من الذين تجمعهم الاخوة الروحية بالعرب في تحرير فلسطين بالنيابة عن العرب او من خلال معاداتهم لهم، كما هو الواقع الراهن. اذن كيف يكون ادعاء تحرير فلسطين صادقاً وهم يبدؤون بتوجيه عدائهم للقطر العراقي الذي يوجه كل ناحية من نواحي نهضته الشاملة لتصب كلها في معركة تحرير فلسطين؟

● ان للموت شعائر وطقوسا خاصة، وان للجنازات قدسيته عند جميع الاديان، فماذا نقول فيمن يدعي الاسلام ويلقي بالقنابل على موكب تشييع الجنازات؟

يحزنني ان تقوم، وفي هذا الظرف بالذات، بيننا وبين هذا الشعب المسلم خصومة، والذي كان يفترض ان يجمعنا وأياه طريق التحرر والاستقلال ورد العدوان الخارجي، ويحزنني بصورة خاصة ان أرى هذه الخصومة التي لم نردها ولا نرى لها مبرراً، تفتقد كل القيم والروادع الاخلاقية والانسانية، وفي هذه الاساليب التي لاتشرف الذين يجيزون استعمالها ما يكشف عن الخلل والمرض في عقليتهم المتخلفة والحاقدة والتي لايمكن ان تخرج منها ثورة، او اي بناء يمكن ان يصمد أمام روح العصر.

نريد ان نظهر نقطة وهي انه مما يطمئنا على مستقبلنا، المستقبل العربي، ومستقبل النهضة العربية، ان مبادئ الثورة العربية وممارساتها تجاوزت التعصب القومي وكل أنواع التعصب، روح الرسالة العربية حاضرة دوما في مسيرة الثورة العربية وممارساتها، نستطيع منذ الان ان نقدم للعالم بعض ثمرات هذه القيم التي استلهمناها من تراثنا سواء بحل المسألة الكردية الحل الانساني، الذي قدمناه نموذجا للعالم او في احترام حرية المعتقدات والخصوصيات والمذاهب التي تنبع من روح الحرية والتي تتضمنها الرسالة العربية. انا كنت ممن فرحوا بالثورة على الشاه، أستبشرت وأنتظرت خيرا كنا نتوقع ان تكون ثورة الشعوب الايرانية سندا لنا هنا في القطر العراقي وسندا لحركة الثورة العربية ولكن للأسف..

١٥ نيسان ١٩٨٠